كيف يقوم يعقوب فإنه صغير

لما أعد الرب جراداً وناراً من أجل تأديب شعبه جعل عاموس النبي يرى تلك التأديبات في رؤيتين متتاليتين فصرخ في الأولى قائلاً: "أيها السيد الرب اصفح. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير" (عا٧:٢)، وفي الثانية: "أيها السيد الرب كف. كيف يقوم يعقوب فإنه صغير" (عا٧:٥). وذكر الكتاب المقدس أن استجابة الرب لهاتين الصرختين كانت: "فندم الرب على هذا. لا يكون قال الرب" (عا٧:٣). وكأن هذه الصرخة كانت كالسهم الذي اخترق الطريق إلى المراحم الإلهية واستطاع على الفور أن يستدرها من نحو شعبه.

بصلوات سهمية أخرى تشبه تلك الصلاة استطاع آخرون من رجال الله أن ينفذوا إلى أحشاء مراحمه الواسعة جداً. فهوذا المرنم يصرخ إليه قائلاً: "لا تسلم للوحش نفس يمامتك. قطيع بائسيك لا تنس إلى الأبد" (مز٧٤:١٩)؛ وأرميا النبي يتضرع: "أدبني يا رب ولكن بالحق لا بغضبك لئلا تفنيني" (أر١٠:٢٤)؛ ودانيال يتوسل: "يا سيد اسمع يا سيد اغفر يا سيد أصغ واصنع لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهي" (دا ٩:١٩)

إن عالم اليوم هو عالم مضطرب ومنزعج تحت وطأة الخطية، وصارت صورة الله فيه باهتة جداً. من أجل ذلك اقتضت أمانة الله ومحبته من نحو الإنسان أن يسلمه إلى التأديب سواء على المستوى الفردي الشخصي أو على مستوى الدول والشعوب. وأبناء الله المختارون المتأملون في تدابير حبه، والفاهمون مقاصد خلاصه إذ ينزعجون أمام بربرية ووحشية قوى الظلام التي أسلم الله الإنسان إليها لا يسعهم سوى أن يصرخوا مع عاموس النبي قائلين: "كيف يقوم يعقوب فإنه صغير؟!".

في الحقيقة ينبغي أن تكون هذه الصلاة صلاة هذا الجيل الذي يتعين عليه أن يهز أرجاء السماء بها ليلاً ونهاراً. فينبغي علينا كلما سمعنا بحروب وأخبار حروب ودمار بلدان وتهجير شعوب؛ وكلما رأينا الكنيسة عروس المسيح نائحة على أولادها الذين أدبروا؛ وكلما ضيق علينا عدو الخير في حرب روحية ضارية كادت تطفئ سراجنا أن نصرخ قائلين: "أيها السيد الرب كف! كيف يقوم يعقوب فإنه صغير؟!!"

لكن لا يستطيع أحد أن ينطق بكلمات تلك الصلاة ما لم يشعر يقيناً بأنه صغير حقاً. فهي وإن كانت صلاة سهمية إلا أنها تستعصي على أفواه الأعزاء، والعظماء، والأغنياء، والفهماء. إنها صلاة حصرية لا تخص سوى المساكين بالروح. وإن كان الرد على هذا التساؤل الذي لعاموس النبي قد جاء بعد مئات السنين بتجسد ابن الله ذاته وتتميمه للفداء

معلناً أن يعقوب هذا الصغير لن يقوم إلا بقيامة المسيح، فترى كيف ومتى سيأتي رد المسيح على توسلات وتنهدات قلوبنا ليلاً نهاراً: "كيف يقوم هذا الجيل فإنه صغير؟!"؟